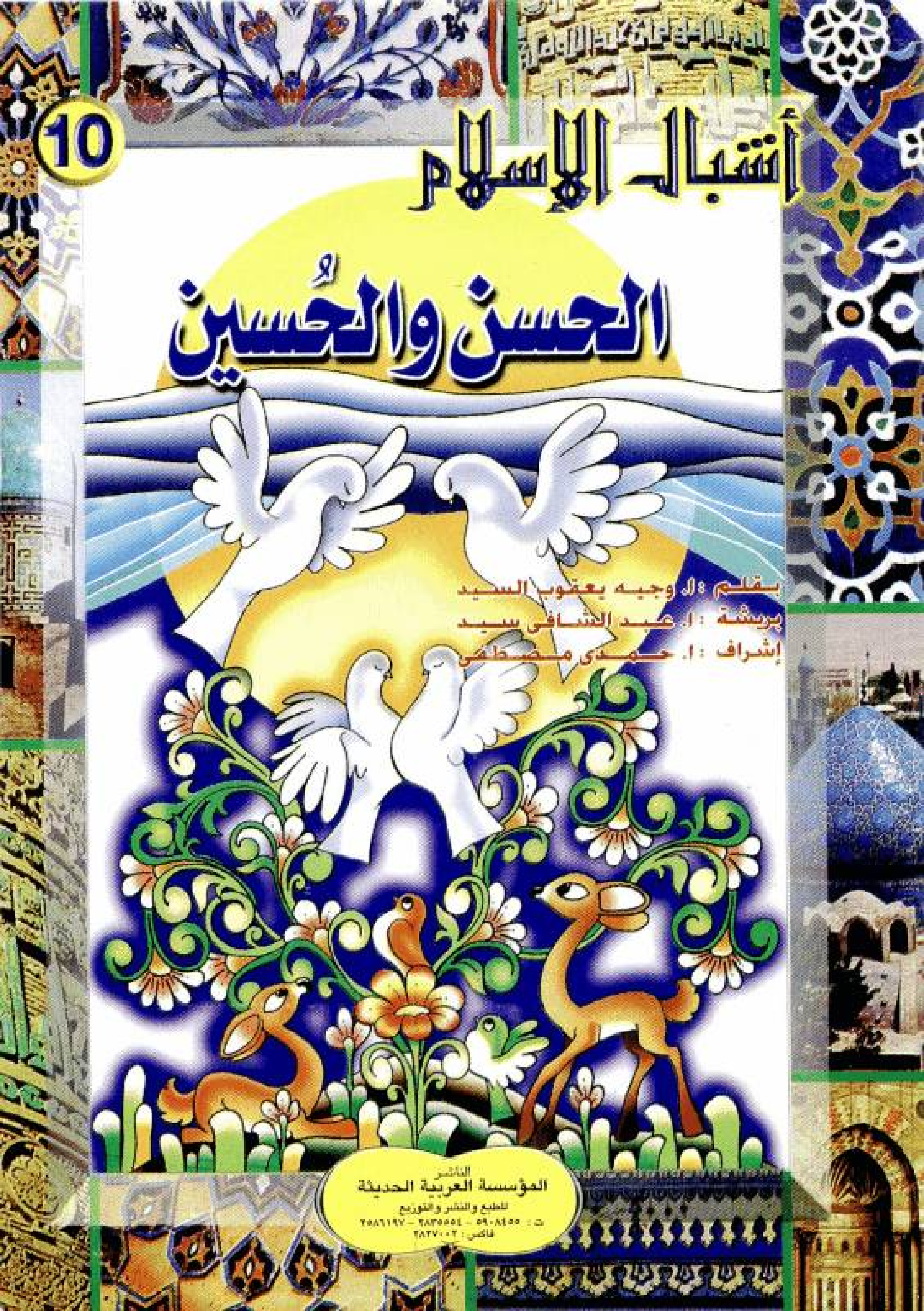
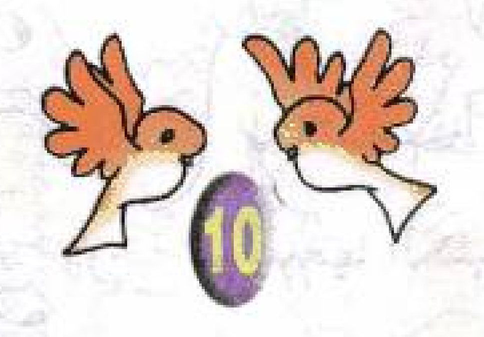

10
أشبال الإسلام
الحسن والحُسين
بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٥٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢



أشبال الإسلام

«الطفولة» مرحلة مهمة للغاية . وهى ليست مجرد مرحلة للهو واللعب وتضييع الوقت فيما لا يفيد ، ولكنها مرحلة إعداد جادة لما سيكون عليه الإنسان فى شبابه وفى رجولته .

وفى هذه السلسلة تطالع :

صوراً مختلفة للنبوغ والتفوق والبطولة الخارقة والرجولة المبكرة عند «أبطال صغار» ، صنعوا المعجزات برغم حداثة أعمارهم ، فكان من بينهم : العالم ، والمحارب الشجاع ، وقائد الجيش .

إن «الطفل الصغير» يستطيع أن يعرف دوره فى الحياة ، من خلال مطالعته لهذه النماذج المشرقة ، ويستطيع أن يقدم الكثير من الأعمال النافعة لنفسه ولأسرته ولوطنه .

وسوف يجد الطفل المتعة فى أثناء قراءة هذه السلسلة التى كُتبت بأسلوب قصصى مشوق ولغة أدبية شفافة .

وجيه يعقوب السيد
مدرس مساعد بكلية الألسن
جامعة عين شمس

الحسن والحسين

بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٩٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٣٧٣٠٤

هَذَانِ الْغُلامانِ قَدْ بَلَغا مِنْ أَسْبابِ الْفَضْلِ وَالأَدَبِ وَالْسَماحَةِ دَرجَةً لَمْ يَبْلُغْها الْكَثِيرُ مِنَ الرِّجالِ .

وَلِمَ لا ؟ وَقَدْ تَرَبَّيا فِى حِجْرِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَتَعرَّفا مِنْ خِلالِه أَسْرارَ الْعَظَمَةِ وَالْكَمالِ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفارِهِما .

إِنَّهُما (الْحَسَنُ) وَ (الْحُسَيْنُ) ابْنا الإِمَامِ (عَلىٍّ بنِ أَبِى طَالبٍ) ، وَالسَّيدَةِ (فَاطِمَةَ الزَّهْراءِ) بِنْتِ النَّبِى ﷺ ، وأَحَبِّ بَنَاتِه إِلَى قَلْبِه ، وَأَكْثرِهِنَّ شَبَهًا بِه خَلقًا وخُلُقًا .

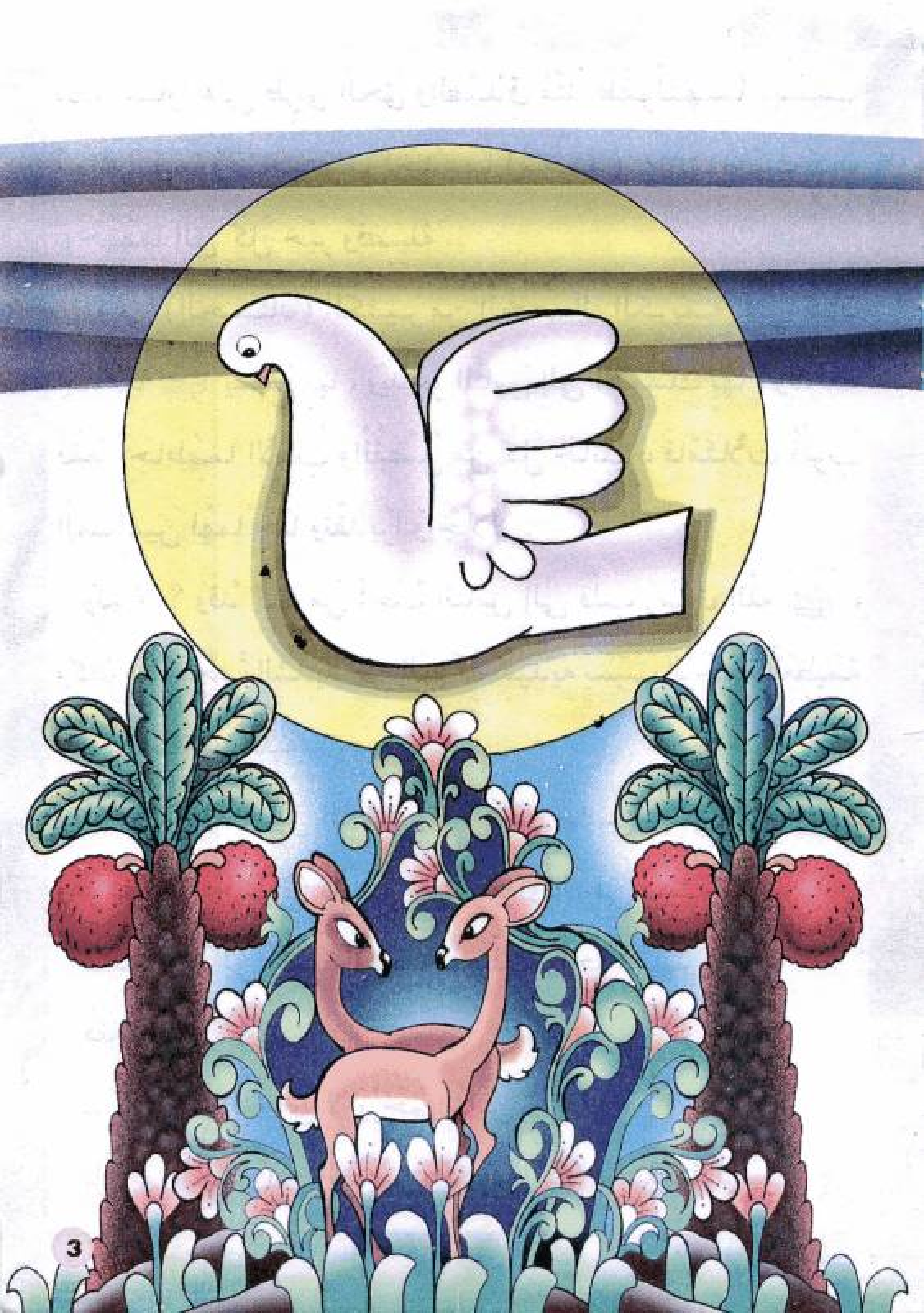
لَقَدْ كَانَتْ فَرْحَةُ الرَّسُولِ ﷺ بِمَوْلِدِهِمَا لا تُوصَفُ ، فَكَانَ يَحِبُّهُمـا حُبَّ الْوَالِدِ الْحَنُونِ لأَبْنَائِه ، وَكَانَ يُجْلِسُهُمـا عَلَى فَخْذَيْهِ وَيُدَاعِبُهُما ، وَيقُولُ :

ـ اللَّهُمَّ إِنِى أُحِبُّهُما فَأَحِبّ مَنْ يُحِبُّهُما .

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَمُرُّ مِنْ أَمَامِ بَيْتِ ابْنَتِه (فَاطِمَةَ) ، فَسَمِعَ (الْحَسَنَ) وَ (الْحُسَيْنَ) يَبْكِيَان ، فَآذَاهُ بُكاؤُهُمـا ، وَقَالَ (لِفَاطِمَةَ) فِى حَنَانِ الأَبِ وَرِفْقِه :

ـ يَا (فَاطِمَةُ) ، أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ بُكَاءَهُما يُؤْذِينِى؟

وَمُنْذُ أَنْ تَفَتَّحتْ عُيونُ هَذيْنِ الْغُلامَيْن عَلَى الإِدْرَاكِ ،



فَقَدْ سَارَا عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ والصِّدْقِ مُنْذُ طُفُولَتِهِمَا ، بِسَبَبِ مُعاشَرَتِهما وَصُحْبَتِهِما لِجَدِّهما (مُحمدٍ) ﷺ ، حَيْثُ كَانَ يُوَجِّهُهُما إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَفَضِيلَةٍ .

وَوَعَى (الْحَسَنَانِ) الْكَثِيرَ مِنَ الْخِصَالِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي كَانَ جَدُّهُما ﷺ يَتَمَتَّعُ بِها ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى التَّمسُّكِ بِها . وَلِذَلِكَ فَقَدْ أَحَاطَهُما الأَدَبُ وَالْفَضْلُ مِن كُلِّ جَانِبٍ ، فَامْتَلأَتْ قُلُوبُ الْمسْلِمينَ لَهُما حُبًا وَتَقْديرًا وَإِجْلالاً .

وَلِمَ لا ؟ وَقَدْ كَانَا مِنْ أَحَبِّ النَاسِ إِلَى قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وكَانَ هَذَا الْحُبُّ الشَّدِيدُ مِنَ النَّبِيِّ لِحَفِيدَيْه بِسَبَبِ الرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي قَلْبه .

فَقَدْ رَأَى الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ (الأَقْرَعُ بنُ حَابِسٍ) رَسُولَ اللَّه ﷺ ، وَهُوَ يُقَبِّلُ (الْحُسَيْنَ) فَأَبْدَى اسْتِغْرَابَهُ وَقَالَ فِي دَهْشَةٍ :

ـ لَقَدْ وُلِدَ لِي عَشْرَةُ أَوْلادٍ ، مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُم .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

ـ لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ .

بَلْ إِنَّ (الْحَسنَ) وَ (الْحُسَيْنَ) كثيرًا مَا كَانَ يَحْمِلُهُما الرَّسُولُ ﷺ

عَلَى كَتِفِهِ وَهُوَ يُصَلِّى ، وَرُبَّما صَعَدَ أَحَدُهُما عَلَى ظَهْرِ النَّبِىِّ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَلا يَقُومُ النَّبِىُّ مِنْ سُجُودِهِ حَتَّى يَنْزِلَ الصَّبِىُّ .

وَقَدْ بَلَغَ حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ لِحَفِيدَيْهِ دَرَجَةً كَبِيرَةً .

فَبَيْنَما كَانَ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَيَعِظُ الْمُسْلِمِينَ ، إِذْ خَرَجَ (الْحُسَيْنُ) وَمَعَهُ لُعْبَةٌ يَجُرُّها ، فَعَثَرَ وَهُوَ فِى الطَّرِيقِ فَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ . فَنَزَلَ النَّبِىُّ ﷺ عَنِ الْمِنْبَرِ سَرِيعًا لِكَىْ يَطْمَئِنَّ عَلَيْهِ .

فَلَما رَآهُ النَّاسُ أَخَذُوا الصَّبِىَّ وَحَمَلُوه إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فتأَمَّل فِى وَجْهِه طَوِيلاً ثُم قَالَ :

ـ قَاتلَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ ! إِنَّ الوَلَدَ فِتْنَةٌ . واللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنِّى نَزَلْتُ عنِ الْمِنْبَرِ حَتَّى أَتَيْتَ بِهِ .

هَذَا الْحُبُّ الَّذِى شَعَرَا بِه من جَدِّهما ، وَمِنْ وَالِدَيْهِمَا ، ومِنَ الـمُسْلِمِينَ ، وَهَذِهِ الرَّحْمَـةُ الَّتِى كَانَتْ تَمْلأُ قَلْبَ جَدِّهمـا نَحْوهما ، وَهَذِه السَّمَاحَةُ التَّى كَانَتْ فِى نَفْسِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُما . . كُلُّ هَذَا كان له أَكْبَرُ الأَثرِ فِى نَشْأَةِ هَذَيْنِ الْغُلامَيْنِ .

فَـقَـدْ نَشَـآ عَلَى حُـبِّ النَّاسِ وَالرَّأْفَـةِ بِهِمْ بِشَكْلٍ غَيْـرِ عَادِىِّ ، وَكَانَتْ هُمُومُ النَّاسِ هِى شُغْلُهما الشَّاغِلُ .

كَمَا سَاعَدَتْهُما هَذِهِ النَّشْأَةُ عَلَى الأَدَبِ الرَّفِيعِ فِى الْحَدِيثِ وَعِنْدَ تَقْدِيمِ النَّصِيحَةِ .

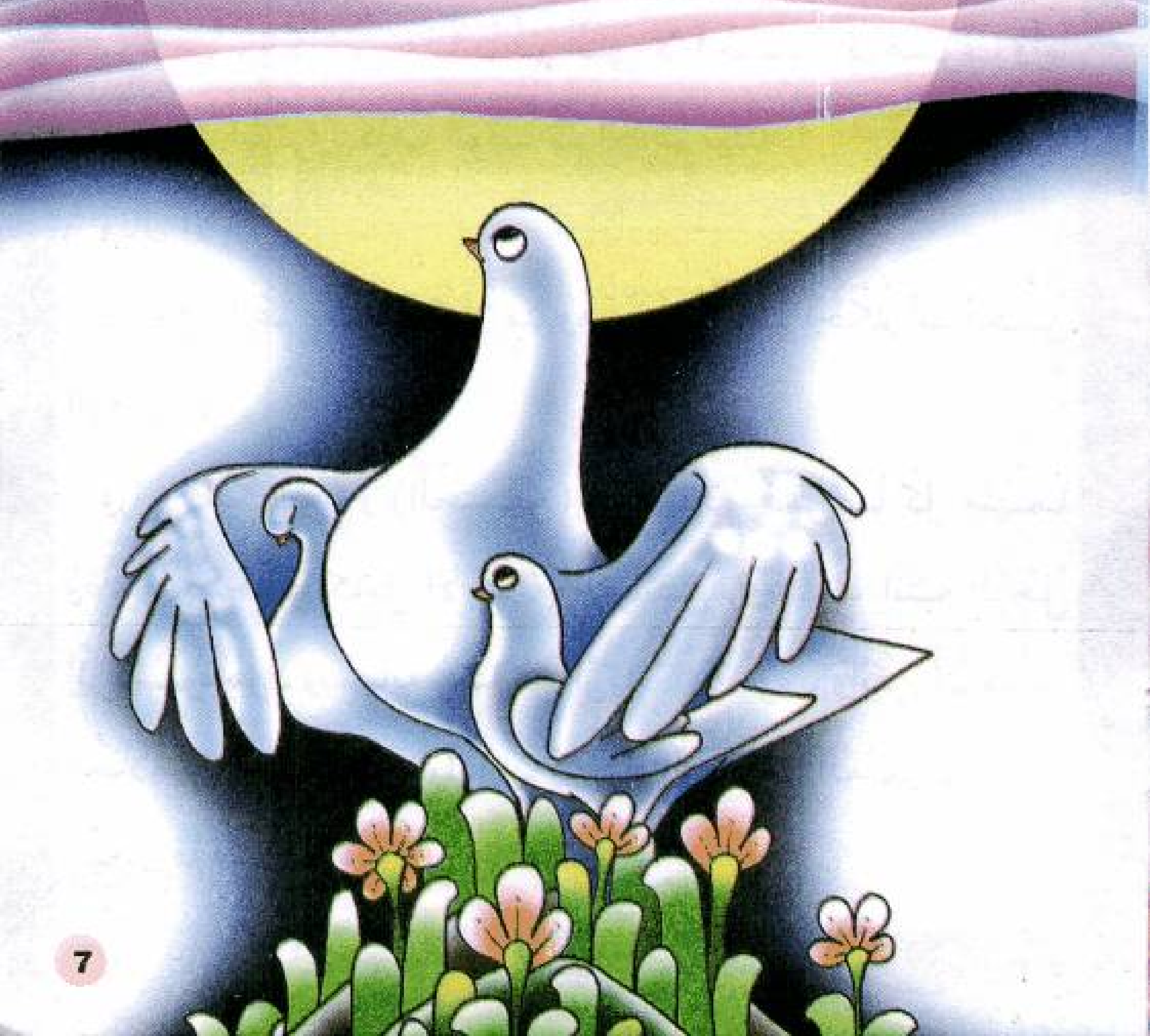
فَذَاتَ يَوْم ، وَبَيْنَمَا كَانَ (الْحَسَنُ) وَ (الْحُسَيْنُ) يَسْتَعِدَّانِ للصَّلاةِ ، إِذْ رَأَيَا رَجُلاً كَبِيرًا فِى السِّنِّ يَتَوَضَّأُ ، لَكِنَّهُ كَانَ لا يُحْسِنُ الْوُضُوءَ .

فَقَالَ أَحَدُهما لأَخِيه :

ـ إنَّ هَذَا الرَّجُلَ الطَّيِّبَ قَدْ نَسِيَ رُكْنًا مُهِمًّا مِنْ أَرْكَانِ الْوُضُوءِ. وَلَوْ صَلَّى بِوُضُوئِهِ هَذَا لَمْ تَصِحَّ صَلاتُه، لأَنَّ صِحَّةَ الْوُضُوءِ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ قُبُولِ الصَّلاةِ وَصِحَّتِها فَمَاذَا تَرَى؟

فَأَجَابَهُ على الْفَوْرِ:

ـ يَجِبُ أَنْ نَنْصَحَهُ، لأَنَّ جَدَّنَا الـمُصْطَفَى ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النصِيحَةُ».



وَلَكِنْ كَيْفَ نُوَجِّهُ لَهُ النَّصِيحَةَ وَنَحْنُ أَصْغَرُ مِنْهُ سِنًا وَقَدْ نُؤْذِى مَشَاعِرَهُ ؟

ـ إِذَنْ يَجِبُ أَنْ نُلْفِتَ انْتِبَاهَهُ فَحَسْبُ دُونَ أَنْ نُؤْذِىَ مَشَاعِرَهُ .

وَرَاحَ الْغُلامَانِ يُفَكِّرَانِ فِى طَرِيقَةٍ يَنْصَحَانِ بِهَا هَذَا الرَّجُلَ الْكَبِيرَ دُونَ أَنْ يُؤْذِيَا مَشَاعِرَهُ وَيَتَسَبَّبَا فِى إِحْرَاجِهِ . وَأَخِيرًا ذَهَبَا إِلَى الرَّجُلِ وَتَظَاهَرَا بِالْخِلافِ فَقَالَ الأَوَّلُ :

ـ يَا عَمُّ ، إِنَّ أَخِى هَذَا يَزْعُمُ أَنَّنِى لا أُحْسِنُ الْوُضُوءَ ، وَأَنَا أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَرَى كَيْفَ أَتَوَضَّأُ ثُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا .

وَقَالَ الآخَرُ :

ـ أَجَلْ يَا عَمُّ ، شَاهِدْ كُلاً مِنَا وَهُوَ يَتَوَضَّأُ ، ثُمَّ احْكُمْ أَيُّنَا يُحْسِنُ الْوُضُوءَ ؟

وَرَاحَ (الْحَسَنُ) وَ (الْحُسَيْنُ) يَتَوَضَّآنِ ، فَتَوَضَّأَ كُلٌّ مِنْهُمَا وُضُوءًا صَحِيحًا كَامِلَ الأَرْكَانِ وَالْفَرَائِضِ . وَعِنْدَئِذٍ انْتَبَهَ الرَّجُلُ إِلَى سَهْوِهِ هُوَ ، وَنِسْيَانِهِ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْوُضُوءِ ، وَأَيْقَنَ أَنَّ هَذَيْنِ الْغُلامَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ أَرَادَا أَنْ يُنَبِّهَاهُ إِلَى ذَلِكَ السَّهْوِ فِى أَدَبٍ رَفِيعٍ وَرِقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ .



فَلَما انْتهَيَا مِن ذَلِكَ شَكَرَهما الرَّجُلُ وَابْتَسَمَ قَائِلاً :

ـ كُلٌّ مِنْكُما قَدْ أَحَسَنَ الْوُضُوءَ يَا أَبْنَائِى ؛ أَمَّا أَنَا فَقَدْ قَصَّرْتُ وَلَمْ أُحسِنِ الْوُضُوءَ .

وتَعلَّم الـمُسْلِمون كِبَارًا وَصِغَارًا ـ دَرْسًا فِى أَدَبِ النَّصِيحَةَ مِنْ هَذَيْنِ الْغُلامَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ ، خَاصَّةً إِذَا كَانَتِ النَّصِيحَةُ مُوَجَّهَةً مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ .

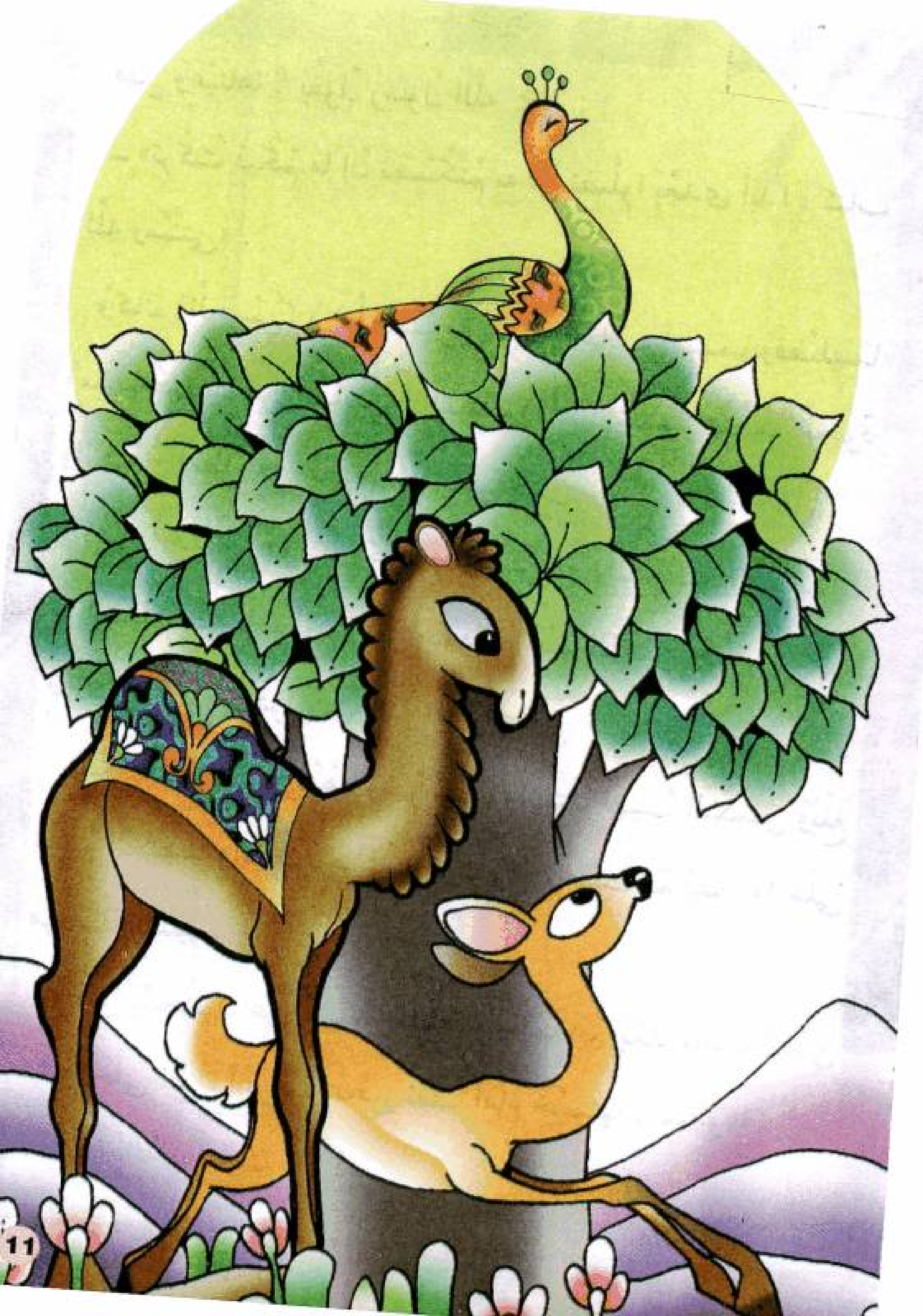
فَلا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ النَّصِيحَةُ عَلَى الْمَلأ ، أَوْ يَتَسَبب عَنْهَا إِحْرَاجٌ للشَّخْصِ الْمَنْصُوح . قَالَ الشَّاعِرُ :

تَعَمَّدْنى بِنُصْحِك فِى انْفِرَادِى ... وَجَنِّبْنى النَّصِيحَةَ فِى الْجَمَاعَةْ

فَإِنَّ النُّصْحَ بيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ مِن ... التَّوبِيخِ لا أَرْضَى اسْتِمَاعَهْ

هَذَا الأَدَبُ الرَّفِيعُ ، والْفَهْمُ الْعَمِيقُ ، وَالسَّمَاحَةُ الْمُتَنَاهِيَةُ ، لَمْ يَحْصُل عَلَيْهَا هَذَانِ الْغُلامَانِ بالدُّرُوسِ فِى الْمَعَاهِدِ وَ الْجَامِعاتِ ، إِنَّما تَعَلَّمَاها مِنْ جَدِّهِما الْمُصْطَفَى ﷺ ، وَمِنْ وَالِدَيْهِما : الإِمَامِ (عَلِىِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ) وَالسَّيِّدَةِ (فَاطِمَةَ الزَّهْرَاء) .

وَمَا زَالَتْ تَعَالِيمُ الرَّسُولِ ﷺ وَوَصَايَاهُ ـ الَّتِى تَعلَّمَ مِنْهَا (الْحَسَنُ) وَ (الْحُسَيْنُ) ـ بَيْنَ أَيْدِينا ، نَقْرَؤُهَا وَنَحْفَظُهَا . .



فَهَلْ وَعَيْنَاهَا ؟ يَقُولُ رَسُولُ اللَّه ﷺ :

- «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِى أَبَدًا ، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِى» .

وَكَانَ (الْحَسَنُ) وَ (الْحُسَيْنُ) - إِلَى جَانِبِ أَدَبِهِما وَفَضْلِهِمَا وَسَمَاحَتِهِمَا مِنَ الْعَابِدِين الْقَانِتِينَ لِلَّه . اشْتَهرَ عَنْهُمَا الْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالْعَطَاءُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ حُدُودٍ .

فَفِى أَحَدِ الأَعْوَامِ ، وَكَانَ (الْحَسَنُ) وَ (الْحُسَيْنُ) فِى بِدَايَةِ شَبَابِهِما ، خَرَجَا بِصُحْبَةِ ابْنِ عَمِّهِما (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرَ بْنِ أَبِى طَالِبٍ) لِكَىْ يَحُجُّوا بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ .

وَفِى الطَّرِيقِ نَفَدَ زَادُهُم وَشَرَابُهُم ، وَاشْتَدَّ لَهِيبُ الشَّمسِ وَبَلَغَ مِنْهُمُ الْجَهْدُ وَالتَّعَبُ مَبْلَغًا كَبِيرًا ، بِحَيْثُ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ .

وَظَلُّوا يَبْحَثُونَ عَنْ مَصْدَرٍ لِلطَّعَامِ وَالْمَاءِ ، وَبَعْدَ بَحْثٍ مُضْنٍ عَثَرُوا عَلَى امْرَأَةٍ أَعْرَابِيَّةٍ عَجُوزٍ تَقِفُ أَمَامَ خَيْمَتِها ، فَسَأَلُوها :

- يا خَالَهْ ، أَلَدَيْكِ مَاءٌ ؟


ـ فَقَالَتْ :

ـ نَعَمْ هَلُمُّوا إِلَىَّ ، عِنْدِى شَاةٌ دَاخِلَ هَذِهِ الْخَيمْةِ ، فَاحْلُبُوهَا
واشْرَبُوا لَبَنَها لِكَىْ يَذْهَبَ عَنْكُمُ الظَّمأُ .

فَحلَبُوا الشَّاةَ وَشَرِبُوا لَبَنَها حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُمُ الظَّمأُ . ثُمَّ أَحَسُّوا بالجُوعِ فَسَأَلُوا هَذه الْمَرأَةَ عَنْ طعَام وَقَالُوا :

ـ نَحْنُ نَفرٌ مِنْ قُرَيْش ، وَقَدْ نَفدَ زَادُنا ، فَهَلْ عِنْدَكِ لَنا طَعَامٌ ؟

وَعَلَى الرَّغْمِ مِن أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ لا تَعْرِفُهُمْ ، فَقَدْ قَدَّمَتْ لَهُمُ الشَّاةَ الْوَحِيدَةَ ، وَقَالَتْ بِنَفْسٍ رَاضِيَة :

اذبَحُوا هَذِه الشَّاةَ ، وَأَنَا سَأَصْنَعُ لَكُمُ الْخُبْزَ حَتَّى تَأْكُلُوا .

وَصَنَعَتِ الـمَرْأَةُ الْخُبْزَ ، وَأَنْضَجَتْهُ عَلَى حَرارَةِ الشَّمْسِ السَّاطِعَة ، وَطَبَخَتِ الشَّاةَ ، ثمَّ وَضَعَتِ الطَّعَامَ عَلَى الْمَائدَةِ أَمَامَهُم ، فَرَاحُوا يَأْكُلُون بِنَهَم حَتَّى شَبَعُوا .

وَقَبلَ أَنْ يَنْصَرِفُوا إِلَى حَالِ سَبِيلِهِمْ ، شَكَرُوا هَذِه السَّيِّدَةَ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِها ، ثُم قَالوا لَها :

ـ نَحْنُ عَلَى سَفرٍ إِلَى بَيْتِ اللَّه الْحَرام ، فَإِذا عُدْنَا سَالمِينَ ، فَلا بُدَّ أَنْ تَأْتِينا لِكَىْ نُكَافِئَك عَلَى إحْسَانك إِلَيْنا .

وَعِنْدَمَا عَادَ زَوْجُ هَذِه السَّيِّدَةِ ، وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا حَدَثَ ، بَدَا عَلَيْهِ الْغَيْظُ ، وَقَالَ فِى حَنَق :

ـ وَيْحَكِ يا امْرَأَةُ ، أَتَذْبَحِينَ شَاتَنا الْوَحِيدةَ لِرِجَالٍ لا نَعْرِفُهُمْ ،

ثُمَّ تَقُولِينَ بِكُلِّ يُسْرٍ : إِنَّهُمْ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْش ؟!

وَمَرَّتْ عَلَى الرَّجُلِ وَزَوْجَتِه ظُرُوفٌ قَاسِيَةٌ بَعْدَ مُدَةٍ قَصِيرَةٍ ، فَاضْطُرَّ إِلَى الرَّحِيلِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرةِ بَحْثًا عَنِ الرِّزْقِ .



وَبَيْنما كَانَ (الْحُسَيْنُ) يَقِفُ أَمَامَ بَيْتِه ، إِذْ رَأَى هَذِهِ السَّيِّدَةَ فَتَذكَّرَ إِحْسَانَها إِلَيْه فَنَادَاها :

ـ يَا خَالَةُ ، أَلا تَعْرِفِينَنِي ؟



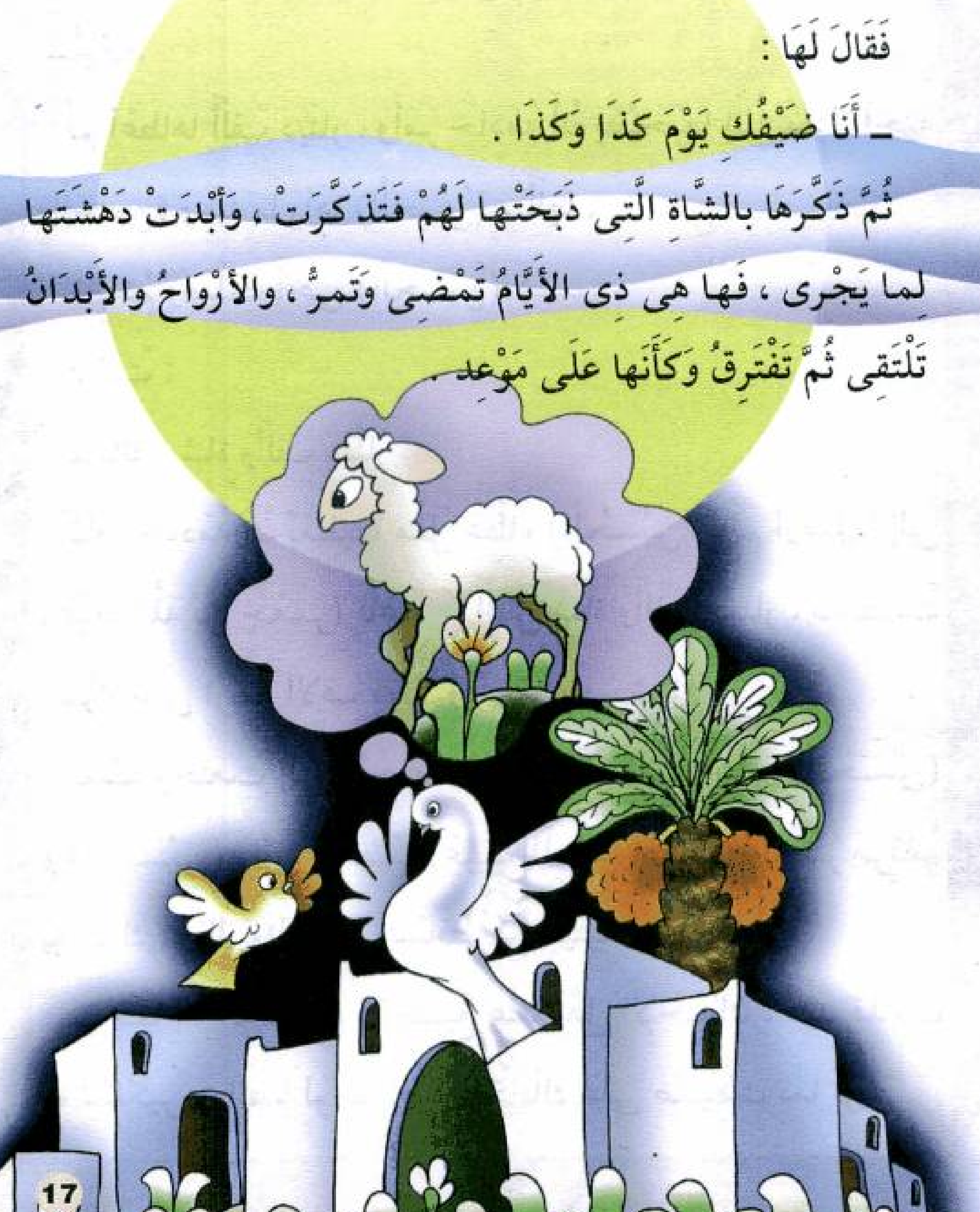
فَأَجَابَتْ :

ـ كَلا يَا بُنَىَّ .

فَقَالَ لَهَا :

ـ أَنَا ضَيْفُكِ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا .

ثُمَّ ذَكَّرَهَا بالشَّاةِ الَّتِى ذَبَحَتْها لَهُمْ فَتَذَكَّرَتْ ، وَأَبْدَتْ دَهْشَتَها لِما يَجْرى ، فَها هِىَ ذِى الأَيَّامُ تَمْضِى وَتَمرُّ ، والأَرْوَاحُ والأَبْدَانُ تَلْتَقِى ثُمَّ تَفْتَرِقُ وَكَأَنَها عَلَى مَوْعِدٍ .



وَأشَارَ (الْحُسَيْنُ) إلَى خادِمِه ثُم قَالَ له :

ـ يَا غُلامُ ، اشْتَرِ لِهَذِه السَّيِّدةِ أَلَفَ شَاةٍ مِنْ أَحْسَنِ مَا تجدُ فِي السُّوق .

ثُم أَعْطَاهَا أَلْفَ دِينارٍ ، وَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَصْحَبَها إلَى مَنْزِلِ أَخِيه (الْحَسَنِ) وعِنْدَما رَآهَا (الْحَسَنُ) سَأَلَها .

ـ بِكَمْ وَصَلَك أخِي (الْحُسَيْنُ) ؟

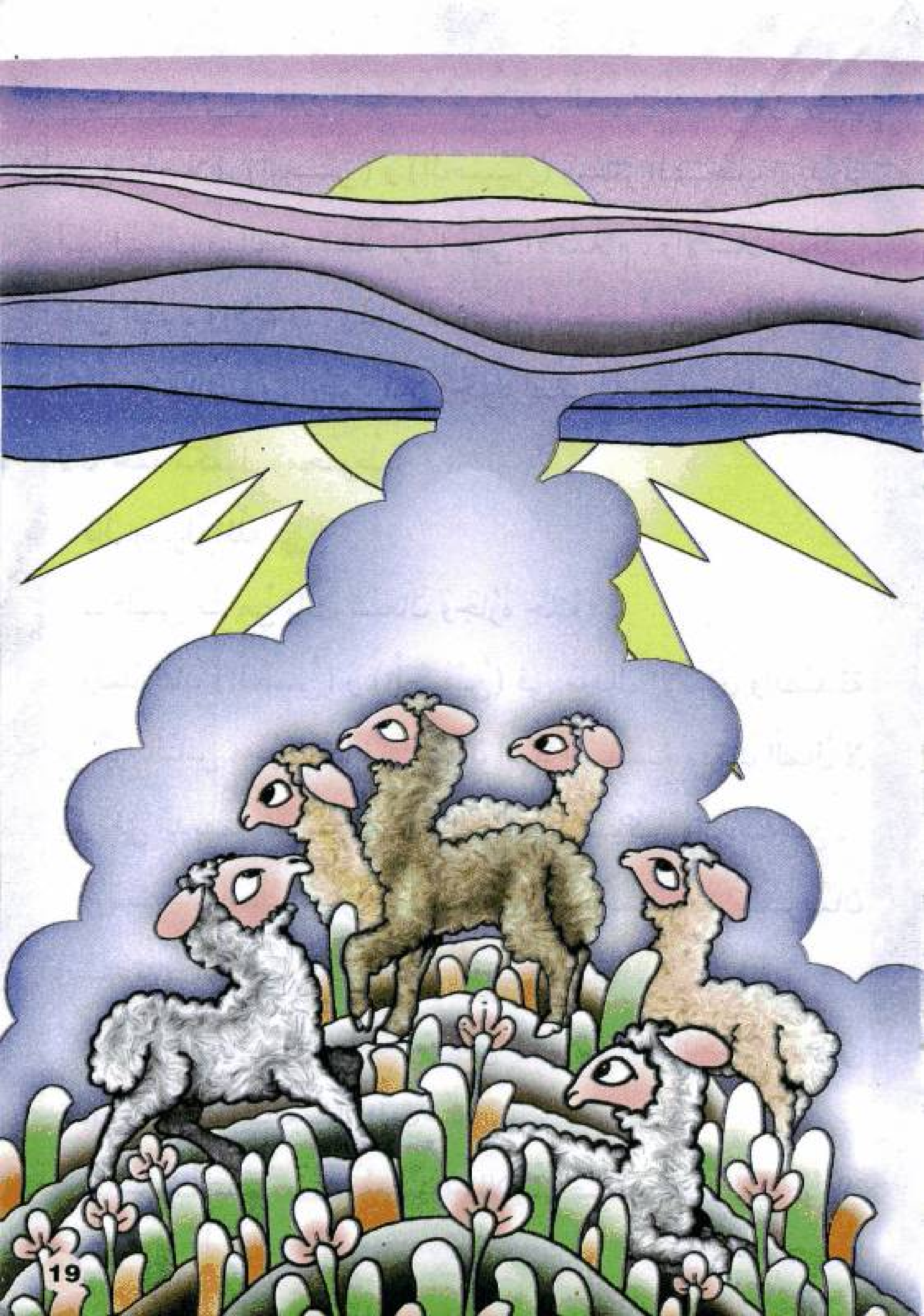
فَقَالَتْ :

ـ بألْف شَاة وَأَلْف دِينَار .

فَأمَر خَادِمَهُ أَنْ يُعْطِيَها مِثْلَ عَطَاء (الْحُسَيْنِ) ، ثُم أَوْصَلَها إلَى (عَبْدِ اللَّه بْنِ جَعْفَرٍ) فَأعْطَاهَا أَلْفَيْ شَاةٍ وَأَلْفَيْ دِينَارٍ ، فَحَصلَتْ المرْأَةُ عَلَى أَرْبَعَة آلاف دِينَارٍ وأَرْبَعَة آلاف شَاة .

فَلَمَّا رَجَعَتْ إلَى زَوْجِها وَأَخْبَرَتْه ، أَثْنَى عَلَى (الحَسَنِ) وَ (الْحُسَيْنِ) وَابْنِ عَمِّهِمَا (عَبد اللَّه بن جَعْفَر) وَتَذَكَّرَ مَوْقِفَهُ يَوْمَذَاكَ ، وَقَالَ وَالدُّمُوعُ تَتَسَاقَطُ مِنْ عَيْنَيْه :

ـ حَقًّا إنَّ الإحْسَانَ لا يَضِيعُ عِنْدَ أَهْلِ الإحْسَانِ ، فَقَد قَدَّمْتِ مَا تَمْلِكِينَ خَالِصًا لِوَجْه اللَّه ، فَكَافَأكِ عَلَى صَنِيعِك بِما تَرَيْن .



وَقَدْ يَبْدُو فِى هَذِهِ الْقَصَّةِ شَىءٌ مِنَ الْمُبَالَغَةِ ، وَلَكِنَّ الذى يَعْرِفُ أَخْلاقَ (الْحَسَنِ) وَ (الْحُسَيْنِ) وَسَائِرِ الصَّحَابَة ، يُدْرِكُ أَنَّها لَيْسَت مُبَالَغةً ، فَقَدْ تَرَبَّوْا عَلَى الإِسْلامِ ، وَالإِسْلامُ يَحُضُّ عَلَى الْبَذْلِ والإِنْفَاقِ ، وكَانَ الْمُجْتَمعُ الْمُسْلِمُ يَعِيشُ أَفْرَادُهُ فِى تَكَافُلٍ وَتَعَاطُفٍ وَتَرَاحُمٍ ، فَلا وُجُودَ لِفَقِيرٍ أَوْ مَحْرُومٍ أَوْ جَائعٍ ، لأَنَّ حَقَّهُ مَكْفُولٌ وَمَحْفُوظٌ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ «لَيْسَ مِنَّا مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ» .

وَلَقَدْ كَانَ (الْحَسَنُ) وَ (الْحُسَيْنُ) فِى مَجَالِ الإِنْفَاقِ وَالصَّدَقَةِ مِنْ أَبْرَزِ النَّاسِ ، حَيْثُ كَانَا يَتَنَافَسَانِ أَشَدَّ الْمُنَافَسَةِ ، فَكَانَ الْمَالُ لا يَبْقَى فِى أَيْدِيهِما ، بلْ يُفَرِّقَانِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ .

وَرُبَّما جَاءَ أَحَدُ الْفُقَرَاءِ إِلَيْهِما وَلَيْسَ مَعَهُما مَالٌ ، فَيَقْتَرِضَانِ وَيَسْتَدِينَانِ مِنْ أَجلِ إِعْطَاءِ هَذَا الْفَقِيرِ مَا يُرِيدُ .

فَذَاتَ يَوْمٍ أَحَسَّ (مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِى سُفْيانَ) أَنَّ (الْحَسَنَ) يُعَانِى ضَائِقَةً مَالِيَّةً ، فَسَأَلَهُ بَعْدَ إِلْحَاحٍ :

ـ أَقْسمتُ عَلَيْكَ يَا (أَبَا مُحَمَّدٍ) ، إِلا مَا أَخْبَرْتَنِى كَمْ عَلَيْكَ دَيْنًا ؟

فَقَالَ (الْحَسَنُ) :

ـ مائه أَلْف دِرْهَم .

فَقَالَ (مُعَاوِيَةُ) لِوَكِيله :

ـ يا غُلامُ ، أَعْطِ (أَبَا مُحَمَّد) ثَلاثَمائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . مائَةَ أَلْفٍ يَقْضِي بِها دَيْنَهُ ، وَمائَةَ أَلْفٍ يُفَرِّقُها على مَوَالِيهِ ، ومائَةَ أَلْفٍ يستعينُ بها على نَوَائِبه .



وَلَمْ يكد (الْحَسَنُ) يتَسلَّمُ هَذه الدَّرَاهمَ حَتَّى كَانَ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ يَقِفُونَ بِبَابِه ، فوزَّعَ أَكْثَرَهَا عَلَيْهِم .

وَعِنْدَمَا اخْتَلَفَ (الْحُسَيْنُ) مَعَ (مُعَاوِيَة) فِى الرَّأْىِ ، مَنَعَ (مُعَاوِيَةُ) الْعَطَاءَ الَّذِى كَانَ يُعْطِيه (لِلْحُسَيْنِ) وَمَرَّ (الْحُسَيْنُ) بِوَقْتٍ عَصِيبٍ لَمْ يَجدْ فِيه الْمَالَ وَلا الطَّعَامَ .

ولَمَّا رَآهُ خَادِمُهُ عَلَى هَذه الْحَالِ ، اقْتَرَحَ عَلَيْه أَنْ يَقْتَرِضَ مِنَ ابْنِ عَمِّه (عَبْدِ اللَّه بْنِ عَبَّاس) وَقَالَ :

ـ هَلا أَرْسَلْت إِلَى ابْنِ عَمِّكَ (عَبْدِ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ) ، فَإِنَّهُ قَدمَ بِنَحْوِ أَلْفِ أَلْف دِرْهم ؟

فَأَبْدَى (الْحُسَيْنُ) اسْتِحْسَانَه لِلفكْرَة ، لَكنَّهُ قَالَ :

ـ وأَنَّى تَقَعُ أَلْفُ أَلْفٍ مِنْ (عَبْدِ اللَّه بِنِ عَبَّاس) . فَوَاللَّه لَهُوَ أَجْوَدُ مِنَ الرِّيحِ إِذَا عَصَفَتْ ، وَأَسْخَى مِنَ الْبَحْرِ إِذَا زَجَرَ .

وَعَلِمَ (عَبدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاس) بِمَا يَمُرُّ بِه (الْحُسَيْنُ) مِنْ ضَائقَة مَالِيَّةٍ فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ فِى أَلَم :

ـ وَيْلَكَ يَا (مُعَاوِيَةُ) ، أَصْبَحْتَ لَيِّنَ المِهَادِ ، رَفِيعَ الْعِمَادِ ، وَ (الْحُسَيْنُ) يَشْكُو مِنْ ضِيقِ الْحَالِ وَكَثْرَةِ الْعِيَالِ !!

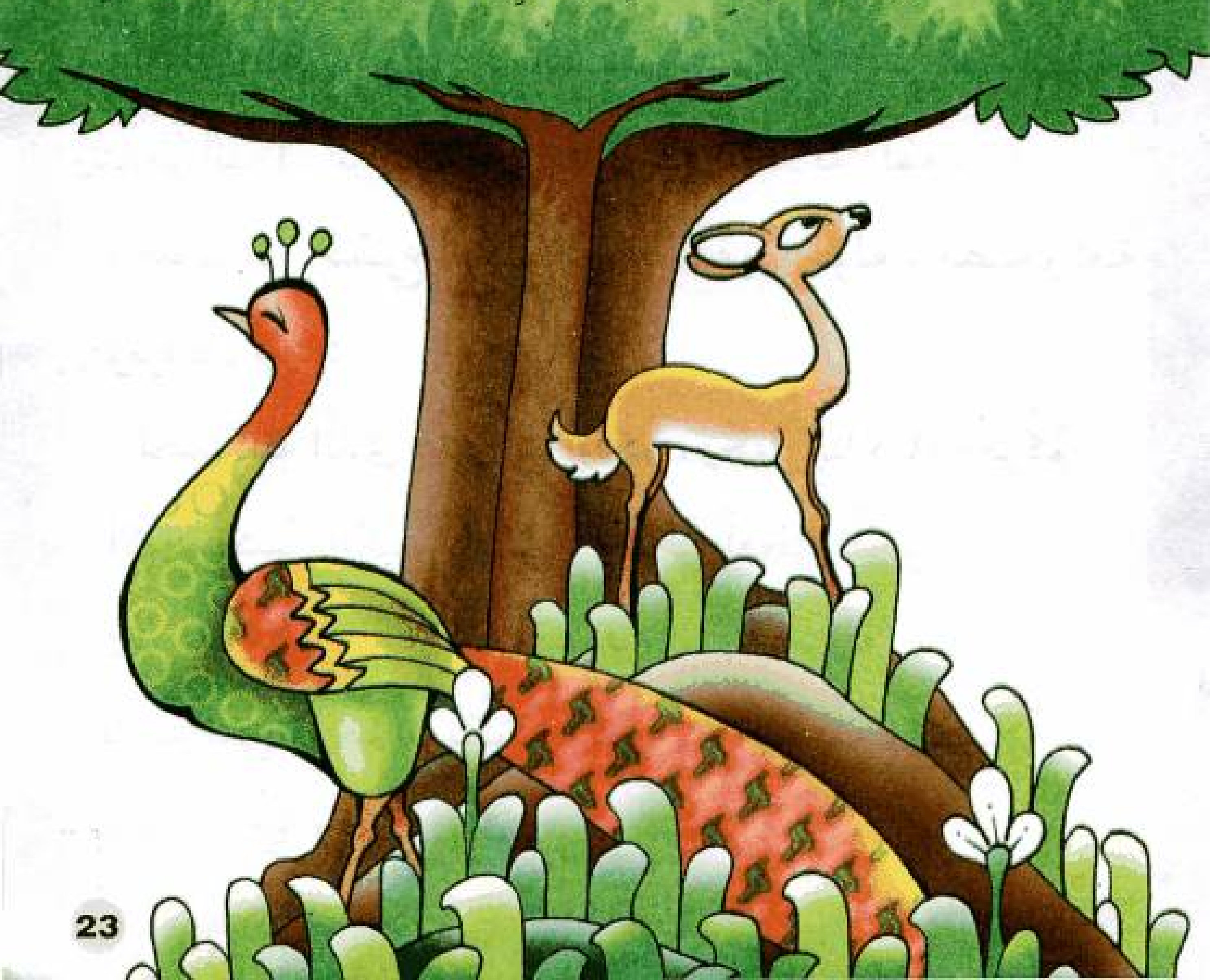
ثُمَّ أَمَرَ وكيلَهُ قائلاً :

ـ احْمِلْ إلَى (الْحُسَيْنِ) نِصْفَ مَا أَمْلِكُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَدَوَابَّ ، وَأَخْبِرْهُ : أَنِّى شَاطَرْتُهُ . فَإِنْ كَفَاهُ ، وَإلا احْمِلْ إِلَيْهِ النِّصْفَ الثَّانِيَ .

فَلَما وَصَلَتْ هَذِهِ الأَمْوَالُ (للحُسَيْنِ) شَكَرَ ابْنَ عَمِّهِ وَقَالَ :

ـ إِنَّا للَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون ، أَثْقَلْتَ وَاللَّهِ عَلَى ابْنِ عَمِّى ، وَمَا حَسِبْتُ أَنَّهُ يَسْمَحُ لَنَا بِهَذَا كُلِّهِ .

ثُمَّ أَمَرَ خَادِمَهُ بِتَوْزِيعِ جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْ هَذِهِ الأَمْوَالِ عَلَى ذَوِى



الْحَاجَاتِ وَالْفُقَرَاءِ ، بِرَغْمِ مَا كَانَ بِهِ مِنْ مَسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا .

وَإِذَا كَانَتْ مَوَاقِفُ (الْحَسَنِ) وَ (الْحُسَيْنِ) الَّتِى رَأَيْنَاهَا تَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ النَّفْسِ وَسُمُوِّ الأَخْلَاقِ ، وَذَلِكَ مُنْذُ الطُّفُولَةِ ، فَإِنَّ أَعْظَمَ مَا تَجَلَّتْ هَذِهِ الْعَظَمَةُ ، كَانَ فِى أَثْنَاءِ الصِّرَاعِ الَّذِى حَدَثَ بَيْنَ (مُعَاوِيَةَ) وَبَيْنَهما .

فَقَدْ بَايَعَ الْمُسْلِمُونَ (الْحَسَنَ) بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ ، لِيَكُونَ خَلِيفَةً لَهُم ، لَكِنَّ (مُعَاوِيَةَ) رَأَى أَنَّ الْخِلَافَةَ يَنْبَغِى أَنْ تَصِيرَ إِلَيْهِ .

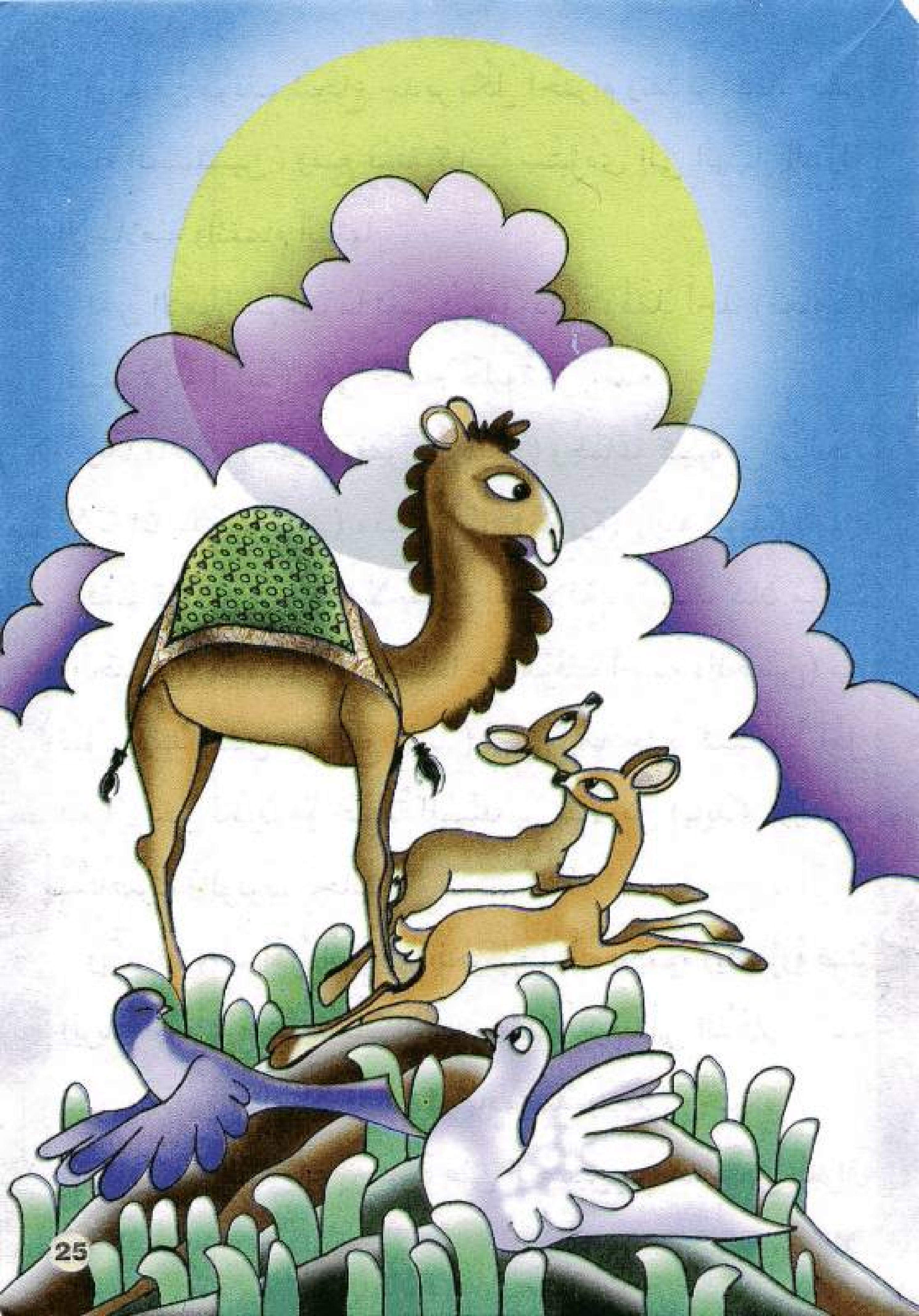
وَلَمَّا رَأَى (الْحَسَنُ) أَنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ سَوْفَ تُرَاقُ فِى هَذَا الصِّرَاعِ وَتَتَفَجَّرُ أَنْهَارًا ، آثَرَ الصُّلْحَ وَالتَّنَازُلَ عَنِ الْخِلَافَةِ (لِمُعَاوِيَةَ) .

وَخَطَبَ فِى جُمُوعِ الْمُسْلِمِينَ الْمُلْتَفِّينَ حَوْلَهُ ، خُطْبَةً رَائِعَةً وَمُؤَثِّرَةً قَالَ فِيهَا :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَى بِنَا أَوَّلَكُم ، وَحَقَنَ بِنَا دِمَاءَ آخِرِكُمْ .

أَلا إِنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التُّقَى ، وَأَعْجَزَ الْعَجْزِ الْفُجُورُ .

وَإِنَّ هَذَا الأَمْرَ الَّذِى اخْتَلَفْتُ فِيهِ أَنَا وَ (مُعَاوِيَةُ) ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَحَقَّ بِهِ مِنِّى ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ حَقِّى فَتَرَكْنَاهُ لِلَّهِ ، وَلِصَلَاحِ أُمَّةِ (مُحَمدٍ) ﷺ وَحَقْنِ دِمَائِهِم» . .



وَيَالَهُ مِنْ مَوْقِفٍ شُجَاعٍ جَدِيرٍ بِكُلِّ احْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ ، فَقَدْ حَقَنَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَنَعَ فِتْنَةً كَانَتْ سَتُؤَدِّى إِلَى انْهِيَارِ الدَّوْلَةِ الإِسْلامِيَّةِ وَانْقِسَامِ أَبْنَائِهَا .

لكِنَّ الأُمُورَ سَرْعَانَ مَا تَغَيَّرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَدْ أَخَذَ (مُعَاوِيَةُ) الْبَيْعَةَ لابْنِهِ (يَزِيدَ) لِكَى يُصْبِحَ خَلِيفَةً مِنْ بَعْدِهِ .

وَعِنْدَمَا مَاتَ (مُعَاوِيَةُ) رَفَضَ (الْحُسَيْنُ) وَجمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ صَالِحِى الأُمَّةِ أَنْ يُبَايِعُوا (يَزِيدَ) ، فَشَتَّانَ بيْنَ (مُعَاوِيَةَ) وابْنِهِ (يَزِيدَ) .

فَقَدْ كَانَ (يَزِيدُ) هَذَا لا يَصْلُحُ لِلْخِلافَةِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ مَوْقِفُ (الْحُسَيْنِ) هَذِهِ الْمَرَّةَ مُخْتَلِفًا عَنْ مَوْقِفِ أَخِيهِ (الْحَسَنِ) مِنْ قَبْلُ ، فَقَدْ رَفَضَ أن يُبَايِعَ (يَزِيدَ) ، بَلْ بَايَعَهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِكَىْ يَكُونَ هُوَ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ بَدَلاً مِنْ (يَزِيدَ) ، وَوَعَدُوهُ بِمُنَاصَرَتِهِ وَالوقُوفِ بِجَانِبِهِ . .

وَبَعْدَ أَنْ وَعَدَ أَهْلُ الْعِرَاقِ (الْحُسَيْنَ) بِأَنْ يَحْمُوهُ وَيَنْصُرُوهُ ضِدَّ (يَزِيدَ) ، وَأَغْرَوْهُ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِم ، عَقَدَ الْعَزْمَ عَلَى الذَّهَابِ إِلَيْهِم لِكَىْ يَتَّخِذَ مِنَ الْعِرَاقِ قَاعِدَةً لِجِهَادِهِ ضِدَّ (يَزِيد) وَجُنُودِهِ .

وَكَانَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ يَخْشَوْنَ عَلَى الْحُسَيْنِ مِنْ غَدْرِ أَهْلِ الْعِرَاقِ

وَخيَانَتِهم ، فَحَذّرُوه مِنَ الْمُضِىِّ إِلَيْهم ، وَنَصَحَهُ (ابنُ عبَّاسٍ) بِقَوْلِهِ :

ـ يَا ابْنَ عَمّ إِنِّى أَتَصَبَّرُ وَلا أَصْبِر .«إِنِّى أَتخوَّفُ عَلَيْكَ فِى هَذَا الْوَجْهِ الْهَلاكَ وَالاسْتئصَالَ .

«إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَوْمُ غَدْرٍ فَلا تَقْرَبَنَّهُم .

«أَقِمْ بِهذَا الْبَلَدِ ، فَإِنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْحجَازِ .

«فَإِنْ كَانَ أَهْلُ االْعِرَاقِ يُرِيدُونك كَمَا زَعَمُوا فاكْتُبْ إِلَيْهِم فَلْيَنْفُوا عَدُوَّهم ، ثُم أَقْدِمْ عَلَيْهِمَ» .



لَكِنَّ (الْحُسَيْنَ) كَانَ قَدْ سَلَّمَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ وَنَوَى الرَّحِيلَ إِلَى الْعِرَاقِ فَقَالَ لـ (ابْنِ عبَّاس) :

ـ يا ابنَ عَمّ ، إِنِّى واللَّهِ لأَعْلَمُ أَنَّكَ نَاصِحٌ مُشْفِقٌ ، وَلَكِنِّى أَزْمَعْتُ وَأَجْمَعْتُ عَلَى الْمَسِيرِ .

وَمَضَى (الْحُسَيْنُ) وَفِى الطَّرِيقِ قَابَلَهُ رَجُلٌ قَادِمٌ مِن فَوْرِهِ مِنَ الْعِرَاقِ ، فَسَأَلَهُ (الْحُسَيْنُ) :

ـ أَخْبِرْنِى عَنِ النَّاسِ خَلْفَكَ ؟

فَأَجَابَ الرَّجُل :

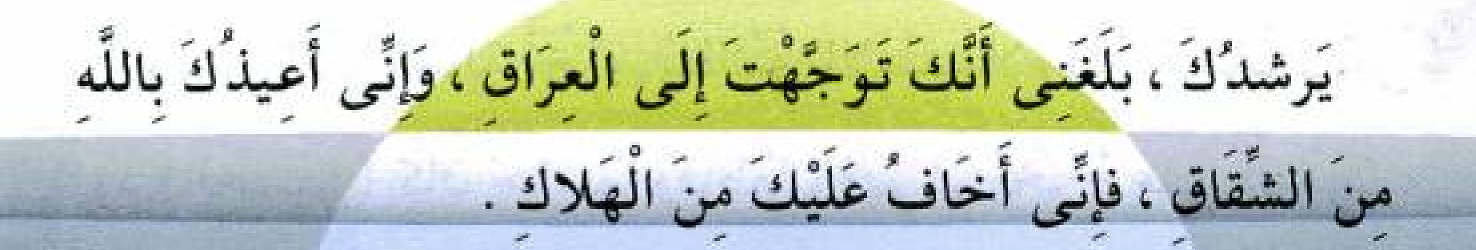
ـ قُلُوبُهمْ مَعَكَ ، وَسُيُوفُهمْ مَعَ بَنِى أُمَيَّةَ . وَالْقَضَاءُ بِيَدِ اللَّهِ .

وبِرَغْم ذَلِكَ فَقَدْ وَاصَلَ (الْحُسَيْنُ) سَعْيَهُ ، وَمَضَى فِى طَرِيقِهِ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ مُعظَمَ الطَّرِيقِ . وكَانَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ وَفِى صَفِّهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ لِبَاطِلٍ أَوْ لِطَلَبِ الدُّنْيا ، وَإِنَّمَا خَرَجَ لِكَىْ يُدَافِعَ عَن حُقُوقِ الْمَظْلُومِين وَالْمَقْهُورِينَ مِنَ الْعِبَادِ .

وَحَاوَلَ (يَزِيدُ) هَذَا بِكُلِّ الطُّرقِ أَنْ يُثْنِىَ (الْحُسَيْنَ) عَنْ عَزْمِهِ وَأَنْ يَمْنَعَهُ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْه يَقُولُ :

ـ إِنِى أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَكَ عَمَا يُوبِقُكَ ، وَأَنْ يَهدِيَكَ لِمَا

يَرشدُكَ ، بَلَغَنِى أَنَّكَ تَوَجَّهْتَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَإِنِّى أُعِيذُكَ بِاللَّهِ مِنَ الشِّقَاقِ ، فَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكَ مِنَ الْهَلاكِ .



وَأَرْسَلَ إِلَيْه رِسَالَةً أُخْرَى يُطَالِبُهُ بِالاسْتِسْلام وَلَهُ الأَمَانُ . لَكِنَّ رَدَّ (الْحُسَيْنِ) كَانَ حَاسِمًا وَقَاطِعًا ، فَهُو لَمْ يَخْرجْ عَلَى الْقَانُونِ ، بَلْ إِنَّ الَّذِى خَرَجَ عَلَى الْقَانُونِ هُوَ (يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَةَ) وَأَنْصَارُه ، وَهَوَ لَمْ يَحْمِلِ السَّيْفَ بَغْيًا وَلا ظُلْمًا ، وَلَكنَّهُ حَمَلَهُ مِنْ أَجْلِ الدِّفَاعِ عَنْ حُرُمَاتِ الْمُسْلِمِينَ .

لِذَلِكَ فَقَدْ أَرْسَلَ إِلَى (يَزِيد) رِسَالَةً يَقُولُ فِيهَا :

ـ «أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ لَمْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَه مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَقَالَ : إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِين .

وَلَئِنْ دَعَوْتَنِى إِلَى الأَمَانِ وَالْبِرِّ وَالصِّلَةِ ، فَإِنَّ خَيْرَ الأَمَانِ أَمَانُ اللَّه .

وَلَنْ يُؤَمِّنَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ لَمْ يَخَفْه فِى الدُّنْيَا .

فَنَسْأَلُ اللَّهَ مَخَافَةً فِى الدُّنْيَا تُوجِبُ لَنَا أَمَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

وَاصَلَ (الْحُسَيْنُ) سَيْرَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَمِنْهَا إِلَى كَرْبَلاءَ ، وَهُنَاكَ الْتَقَى بِجُيُوشِ (يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ) ، وَقَاتَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِى رُجُولَةٍ وَشَرفٍ حَتَّى سَقَطُوا شُهَدَاءَ عَلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ .



وَإِذَا كَانَ (الْحُسَيْنُ) قَدْ سَقَطَ شَهِيدًا لِمَبَادِئِه ، فَإِنَّ فَضْلَهُ ، وَإِيمَانَهُ بِالْحَقِّ ، وَجِهَادَهُ مِنْ أَجْلِ الْمَبَادِئِ ، سَتَظَلُّ رَافِعَةَ الرَّأْسِ تَأْبَى السُّقُوطَ .

رَحِمَ اللَّهُ (الْحَسَنَ) وَ (الْحُسَيْنَ) ، اللَّذَيْنِ كَانَا نَمُوذَجَيْنِ رائِعَيْنِ للطِّفْلِ الْمُسْلِمِ ، حَيْثُ تَعَلَّمْنا مِنْهُما أَدَبَ النَّصِيحَةِ وَالْكَرَمَ وَالإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . كَمَا تَعَلَّمْنا مِنْهُما الْجِهَادَ مِنْ أَجلِ الدِّفَاعِ عَنِ الْحَقِّ وَالْمَبادِئِ ، وَمَتَى يكُونُ الإِنْسانُ مَرِنًا لَيِّنًا كَما فَعَلَ (الْحَسَنُ) مَعَ (مُعَاوِيَةَ) وَمَتَى يكُونُ صُلْبًا مُتَمسِّكًا بِرأْيِهِ وَمَواقِفِهِ كَما فَعَلَ (الْحُسَيْنُ) مَعَ (يَزِيدَ بِنِ مُعَاوِيَةَ) ؟؟

(تـمـت)

رقم الإيداع : ٢٠٨٠

الترقيم الدولي : ٤ـ٣٠٧ـ٢٦٦ـ٩٧٧